الرحـلة السابعة

الرِّحْلَةُ السَّابِعَةُ: يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمَاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يُرْخِيَ عَلَيْنَا سِتْرَهُ حَتَّى نَلْقَاهُ، وَأَنْ يَشْغَلَنَا بِإِصْلَاحِ أَنْفُسِنَا، وَأَنْ يُعِينَنَا عَلَى تَعَلُّمِ دِينِنَا، وَأَنْ يُبَارِكَ لَنَا فِي أَوْقَاتِنَا وَأَعْمَارِنَا، وَأَنْ يَسْتَعْمِلَنَا فِيمَا يُرِيدُ وَيَرْضَى، وَأَنْ يَنْفَعَ بِنَا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْإِجَابَةَ، وَأَنْ يَجْعَلَ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِيمَهَا، وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ نَلْقَاهُ.

إِلَى إِخْوَتِي الرُّكَّابِ الَّذِينَ اخْتَارُوا مُصَاحَبَتَنَا فِي رِحْلَتِنَا هَذِهِ، الرِّحْلَةِ السَّابِعَةِ مِنْ رِحْلَاتِنَا الْبَحْرِيَّةِ الْمَاخِرَةِ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ، هَا قَدْ فُتِحَتْ لَكُمْ أَبْوَابُ سَفِينَتِكُمُ الْمَاخِرَةِ، ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: 41]. وَاسْأَلُوا اللهَ قَائِلِينَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: 13-14].

إِخْوَانِي الرُّكَّابَ، وَصَلَتْنَا الْإِشَارَةُ مِنْ غُرْفَةِ الْمُرَاقَبَةِ تُؤْذِنُ بِبَدْءِ انْطِلَاقِ الرِّحْلَةِ السَّابِعَةِ عَبْرَ السَّفِينَةِ الْمَاخِرَةِ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ. خُذُوا أَمَانَكُمْ، وَأَحْكِمُوا أُزُرَكُمْ، وَتَفَقَّدُوا أَمْتِعَتَكُمْ وَزَادَكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى. بِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ، مُرْشِدًا إِيَّاهُمْ إِلَى السَّبِيلِ الْقَوِيمِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ...﴾ [الأحزاب: 70-71].

لِذَلِكَ كَانَتِ التَّقْوَى هِيَ وَصِيَّةُ اللهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ...﴾ [النساء: 131]. فَالتَّقْوَى لِبَاسٌ يُلَازِمُ أَهْلَ الْإِيمَانِ، وَشِعَارٌ لَا يَنْفَكُّ عَنْ عِبَادِهِ الْأَتْقِيَاءِ، مَحَلُّهَا الصُّدُورُ، وَأَثَرُهَا يَظْهَرُ عَلَى الْأَرْكَانِ وَالْجَوَارِحِ. وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **"التَّقْوَى هَاهُنَا"**، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ). وَهِيَ كَذَلِكَ وَصِيَّةُ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَمَنِ اتَّقَى اللهَ نَجَا، وَفَازَ وَظَفِرَ بِمَا رَجَا، وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا.

أبي قُتَيْبَةَ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ شَابِي

وَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

بِتَقْوَى اللهِ نَجَا مَنْ نَجَا * * * فَفَازَ وَصَارَ إِلَى مَا رَجَا

مَعْشَرَ الرُّكَّابِ الْكِرَامِ، احْرِصُوا عَلَى مَنْ تَقْوَى بِصُحْبَتِهِ هِمَّتُكُمْ، وَيَزِيدُ بِكَلَامِهِ إِيمَانُكُمْ؛ فَذَاكَ الَّذِي أَوْصَاكُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ تُجَالِسُوهُ وَتُرَافِقُوهُ وَتُخَالِطُوهُ. اعْتَنُوا بِالْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالصَّاحِبِ النَّافِعِ؛ فَبِهِ -بَعْدَ اللهِ- تَقْوَى عَلَى مُوَاصَلَةِ السَّيْرِ فِي سَفَرِكَ الطَّوِيلِ إِلَى اللهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، فَهُوَ بَعْدَ اللهِ نِعْمَ السَّبَبُ الْمُعِينُ.

يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ المُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الآخِرَةِ

وَتَجَنَّبُوا مَنْ تُفْسِدُكُمْ صُحْبَتُهُ، وَتُضْعِفُ إِيمَانَكُمْ، وَتَشْغَلُكُمْ عَنْ سَيْرِكُمْ، بَلْ قَدْ تَقْطَعُ عَلَيْكُمْ رِحْلَتَكُمْ إِلَى اللهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ، وَأَعْنِي بِهِ الجَلِيسَ السُّوءَ وَالصَّاحِبَ السَّيِّئَ الخَوَّارَ.

احْذَرُوا عَدُوَّكُمُ الأَلَدَّ إِبْلِيسَ وَأَعْوَانَهُ مِنَ الإِنْسِ وَالجِنِّ، سُدُّوا عَلَيْهِمْ سُبُلَ الوُصُولِ إِلَيْكُمْ، وَقَاوِمُوا مُجَاهَدَتَهُمْ مُسْتَعِينِينَ بِاللهِ عَلَيْهِمْ، فَلَنْ تُغْلَبُوا وَلَنْ تُهْزَمُوا فَهُوَ وَلِيُّكُمْ وَنَاصِرُكُمُ الَّذِي تَوَلَّى حِفْظَكُمْ وَنَصْرَكُمْ، وَاذْكُرُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ...﴾ [آل عمران: 160].

وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الجُهَلَاءِ أَوْ قَلِيلِي العَقْلِ: "**مَا لِي وَلِإِبْلِيسَ**؟ أَنَا بَعِيدٌ عَنْهُ وَهُوَ بَعِيدٌ عَنِّي! لَيْسَتْ مُشْكِلَتِي مَعَ الشَّيْطَانِ أَبَدًا، إِنَّمَا مُشْكِلَتِي مَعَ دَيْنِي وَإِدَارَتِي وَعَمَلِي وَنَحْوِ ذَلِكَ".

وَهَذَا -وَاللهِ- قَوْلُ مَنْ أَصْغَى إِلَى قَوْلِ الشَّيْطَانِ، يَا مَنْ نَسِيتَ عَدَاوَتَهُ وَانْشَغَلْتَ بِعَدَاوَةِ غَيْرِهِ! وَهُوَ يَتَمَتَّعُ بِاتِّبَاعِكَ لَهُ وَتَزْيِينِهِ لَكَ وَتَحْسِينِهِ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ هُوَ وَأَنْتُمْ إِلَى النَّارِ، يَقِفُ خَطِيبًا فِيكُمْ، فَيَجْهَرُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُصَرِّحًا بِمَا عِنْدَهُ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا

يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ المُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الآخِرَةِ

أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: 22].

اسْمَعْ -رَعَاكَ اللهُ وَأَسْمَعَكَ كُلَّ خَيْرٍ- إِنَّ الشَّيْطَانَ يَقُولُ مُتَبَجِّحًا مُسْتَعْلِيًا:

"إِذَا اسْتَكْمَلْتُ مِنِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثًا، فَقَدْ أَصَبْتُ حَاجَتِي مِنْهُ:

1. **إِذَا نَسِيَ ذَنْبَهُ.**
2. **وَإِذَا اسْتَكْثَرَ عَمَلَهُ.**
3. **وَإِذَا أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ."**

الموقع الرسمي للشيخ: أبي عبيدة عمر بن حمد الظاهر سلمه الله

مَعَاشِرَ الرُّكَّابِ الْأَفَاضِلِ، سَنُبْحِرُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى فِي الرِّحْلَةِ السَّابِعَةِ مِنْ مِينَاءٍ رُفِعَ عَلَى مَدْخَلِهِ الْعَرِيضِ اسْمُ

"مِينَاءُ الاِحْتِضَارِ.."

رُبَّانُ السَّفِينَةِ المُاخِرَةِ إِلَى الدِّيَارِ الآخِرَةِ يَتَمَنَّى لَكُمْ رِحْلَةً مَأْمُونَةً نَافِعَةً -إِنْ شَاءَ اللهُ- تَتَزَوَّدُونَ مِنْ خِلَالِهَا لِسَفَرِكُمُ الْأَعْظَمِ، فَتُعَانُون عَلَى طَاعَةِ رَبِّكُمْ، الَّتِي سَتُكْتَبُ فِي صَحَائِفِكُمْ وَتَنْفَعُكُمْ يَوْمَ بَعْثِكُمْ وَعَرْضِكُمْ عَلَي رَبِكُمْ، وَلَا شَك أَنَّ اَلْأُجُورَ تَتَضَاعَفُ عِنْدَ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، ذِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ.

أَشْعُرُ أَنَّ بَعْضَ الْمُسَافِرِينَ مَعَنَا يُرِيدُ مَعْرِفَةَ مَعْنَى كَلِمَةِ "الاِحْتِضَارِ"، وَحَقٌّ لَهُ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ فَوَائِدِ هَذِهِ الرِّحْلَةِ النَّافِعَةِ.

يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

الِاحْتِضَارُ :مِن "احْتُضِرَ"، يُحْتَضَرُ، احْتِضَارًا، فَهُوَ مُحْتَضَرٌ .وَيُقَالُ :احْتُضِرَ الشَّخْصُ، أَيْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ، وَدَنَا أَجَلُهُ، وَقَرُبَتْ وَفَاتُهُ .وَقَدْ يَكُونُ فِي النَّزْعِ الْأَخِيرِ يُعَانِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ .وَقَدْ سَمَّى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ ذَلِكَ بِـ "السَّوْقِ"، أَيْ أَنَّ رُوحَهُ تُسَاقُ لِتَخْرُجَ مِنْ بَدَنِهِ .وَيُقَالُ" :احْتُضِرَ" بِاسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ، وَمَعْنَاهُ :دَخَلَ فِي مَرْحَلَةِ الِاحْتِضَارِ، وَهُوَ اسْتِعْمَالٌ وَاقِعِيٌّ وَشَائِعٌ.

فَهِيَ الْمَرْحَلَةُ الْأَخِيرَةُ مِنْ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي قَدَّرَ اللهُ أَنْ يَعِيشَهَا .

فَالْمُحْتَضَرُ إِذًا هُوَ الَّذِي حَضَرَتْهُ أَسْبَابُ الْمَوْتِ وَعَلَامَاتُهُ وَمُقَدِّمَاتُهُ وَالْعَرَبُ مِنْ عَادَاتِهَا إِذَا حَضَرَ السَّبَبُ كُنْتُ بِهِ عَنْ الْمُسَبِّبِ قَالَ شَاعِرُهُمْ.

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ* سَائِلْ بَنِي أَسَدٍ: مَا هَذِهِ الصَّوْتُ؟**

وَقُلْ لَهُمْ: بَادِرُوا بِالْعُذْرِ وَالْتَمِسُوا* قَوْلًا يُبَرِّئُكُمْ؛ إِنِّي أَنَا الْمَوْتُ!**

وقَالَ أَبُو عَزَّةَ جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ الْخَطَفِيُّ الْكَلْبِيُّ الْيَرْبُوعِيُّ التَّمِيمِيُّ الْبَصْرِيُّ (ت 110هـ) قَالَهُ فِي سِيَاقِ نَقَائِضِهِ وَهِجَائِهِ لِلْفَرَزْدَقِ وَالْأَخْطَلِ.

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ* فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءُ**

وَقَدْ جَاءَ لَفْظُ الِاحْتِضَارِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ...﴾ البقرة 133 وَقَالَ تَعَالَى :﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ المؤمنون99 ، وَقَالَ تَعَالَى :﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ...﴾ البقرة180 .

يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

فَالِاحْتِضَارُ هُوَ الْمَرْحَلَةُ الزَّمَنِيَّةُ الْأَخِيرَةُ مِنْ عُمْرِ الْإِنْسَانِ، بَعْدَ أَنْ صَالَ وَجَالَ، وَرَأَسَ وَأَرْأَسَ، وَأَعْطَى وَمَنَعَ، وَوَلَّى وَعَزَلَ، وَأَسَاءَ وَأَحْسَنَ، وَغَنِيَ وَافْتَقَرَ، وَأَمَرَ وَنَهَى، وَمَلَكَ وَحَكَمَ، وَتَزَوَّجَ وَأَنْجَبَ، وَسَافَرَ وَأَقَامَ، وَأَطَاعَ وَعَصَى .بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ، يَسْتَسْلِمُ وَيَنْقَادُ وَيَذِلُّ لِأَمْرٍ نَازِلٍ بِهِ، أَلَا وَهُوَ الْمَوْتُ.

يَنَامُ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ، فَتَقْصُرُ الْخُطَا، وَتَنْعَدِمُ الْقُوَّةُ وَالْحِيلَةُ، وَيَنْقَطِعُ الْمُنْجِدُ .فَمَاذَا عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمِسْكِينُ مِنْ أَمْرِهِ؟ لَقَدْ آنَ الْأَوَانُ وَأَزِفَ الرَّحِيلُ، وَحَضَرَ الْمَوْتُ وَفَاتَ الْفَوْتُ.

نَفَّذَ الْعُمْرُ وَانْقَضَتْ أَعْوَامُهُ وَتَصَرَّمَتْ شُهُورُهُ وَأَيَّامُهُ، وَمَضَتْ سَاعَاتُهُ وَدَقَائِقُهُ وَثَوَانِيهِ .حَانَ وَقْتُ الرَّحِيلِ وَقَرُبَ خُرُوجُ الرُّوحِ مِنَ الْبَدَنِ، وَتَوَدِيعُ الدُّنْيَا، مُفَارَقَةٌ لِلَذَّاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا وَمُتَعِهَا، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ مُرَادِ الْعَبْدِ وَمُبْتَغَاهُ . يَخْرُجُ مِنْهَا بِأَسَفٍ وَحَسْرَةٍ وَحُزْنٍ عَلَيْهَا، وَيَنْسَى الْمِسْكِينُ أَنَّهُ قَدِ اغْتَرَّ بِهَا، فَغَرَّتْهُ وَخَدَعَتْهُ وَضَحِكَتْ عَلَيْهِ وَأَوْرَدَتْهُ الْمَوَارِدَ .قَالَ تَعَالَى :﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ فاطر5 :

- وَقَالَ تَعَالَى :﴿...قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى...﴾ النساء.77 :
- وَقَالَ تَعَالَى :﴿...وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ الرعد.26 :

يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

- وَقَالَ تَعَالَى :﴿...أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة.[38 :

- وَقَالَ تَعَالَى :﴿وَإِنَّ دَارَ الْآخِرَةِ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت : 64].

ظَلَّ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- زَمَنًا يَبْحَثُ عَنْ مَعْنَى "مَتَاعِ الْغُرُورِ"، فَاسْتَضَافَهُ أَعْرَابِيٌّ بِالْبَادِيَةِ، فَسَمِعَ ابْنَتَهُ تَقُولُ لِأُمِّهَا: "لَقَدْ غَرُرْتُ، فَأَيْنَ الْمَتَاعُ؟"، فَقَالَتِ الْأُمُّ: "خُذِي مَتَاعَكِ". فَسَأَلَ الشَّافِعِيُّ الْأَعْرَابِيَّ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: "إِذَا دَنَتِ ابْنَتِي مِنْ أَيَّامِ حَيْضِهَا، سَأَلَتْ أُمَّهَا عَنِ الْمَتَاعِ". فَعَلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَتَاعِ قِمَاشَةٌ تَسْتَعْمِلُهَا الْمَرْأَةُ لِأَيَّامِ الْحَيْضِ. فَسُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ! كَأَنَّ الدُّنْيَا وَمَتَاعَهَا يُسَاوِي هَذَا الْمَذْكُورَ. يَا رَبِّ سَلِّمْ... يَا رَبِّ سَلِّمْ.

وَأَنْشَدَ ذَاكَ الْعَاقِلُ وَقَدْ أَحَسَّ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ فَقَالَ :

تَبْغِي مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ وَإِنَّمَا* يَكْفِيكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ الرَّاكِبِ**

لَا يَعْجِبَنَّكَ مَا تَرَى فَكَأَنَّمَا* قَدْ زَالَ عَنْكَ مِثْلَ أَمْسِ الذَّاهِبِ**

أَصْبَحْتُ لَا أَبْكِي لِفَوْتٍ قَدْ مَضَى* وَوَرِثْتُ قَلْبًا بِالْبَلَاءِ مُصَاحِبِ**

- **مَا يَجِبُ فِعْلُهُ عِنْدَ الْمُحْتَضَرِ**

مَعْشَرَ الرُّكَّابِ، مَا دُمْنَا نَتَكَلَّمُ عَنِ الِاحْتِضَارِ، فَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نُذَكِّرَ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ بِمَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ مَنْ يَكُونُ عِنْدَ مُحْتَضَرٍ، أَلَا وَهُوَ :**تَلْقِينُهُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ (لَا إِلَهَ إِلَّا**

يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

اللهُ) .وَهَذَا حَقُّ الْمُسْلِمِ الَّذِي فِي السَّوْقِ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ .فَيَقُولُ لَهُ مُخَاطِبًا إِيَّاهُ **"قُلْ :لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"**، وَيُعِيدُهَا عَلَيْهِ .لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :**(لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)** .رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

لِأَنَّهُ مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ" دَخَلَ الْجَنَّةَ، يَقُولُهَا مُتَيَقِّنًا بِهَا، عَارِفًا بِمَعْنَاهَا، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .-فَكَمَا أَنَّهُ إِذَا قَالَهَا فِي الدُّنْيَا عُصِمَ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ، فَإِنَّهُ إِذَا ذَكَرَهَا عِنْدَ مُفَارَقَةِ الدُّنْيَا نَفَعَتْهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، وَنَحْسَبُهُ مَاتَ عَلَى حُسْنِ خَاتِمَةٍ.

وَقَدْ يَسْأَلُنِي رَاكِبٌ لَبِيبٌ فَطِنٌ :هَلْ يَجُوزُ تَلْقِينُ الْكَافِرِ عِنْدَ مَوْتِهِ؟ الْجَوَابُ :نَعَمْ . وَالدَّلِيلُ مَا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ احْتِضَارِهِ، حِينَ قَالَ لَهُ: **(يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ.)** مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَدْ جَاءَ أَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَادِمًا يَهُودِيًّا، فَمَرِضَ، فَعَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ" :**أَسْلِمْ"** وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ :**"قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"** «وَهُوَ الشَّاهِدُ فِي مَسْأَلَتِنَا .-فَنَظَرَ الْغُلَامُ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ" :أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ."فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ :**"الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ"** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ.

تَنْبِيهَاتٌ مُهِمَّةٌ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ:

أَوَّلًا :نُنَبِّهُ عَلَى أَمْرٍ هُوَ عَادَةٌ سَيِّئَةٌ جَاهِلِيَّةٌ يُمَارِسُهَا جَمْعٌ مِنْ جُهَّالِ الْمُسْلِمِينَ، وَهِيَ **الدُّعَاءُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ عِنْدَ نُزُولِ مُصِيبَةِ الْمَوْتِ (الدُّعَاءُ بِالشَّرِّ وَالْهَلَاكِ وَالْحَسْرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ)** .وَهَذَا يَحْرُمُ وَلَا يَجُوزُ فِعْلُهُ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤَمِّنُ عَلَى مَا يَقُولُهُ الْحَاضِرُونَ عِنْدَ الْمَيِّتِ، فَتَقُولُ" :آمِينَ ."وَالْمَعْلُومُ أَنَّ دُعَاءَ الْمَلَائِكَةِ مُجَابٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى .وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَهُوَ يَحْتَضِرُ، فَلَمَّا خَرَجَتْ رُوحُهُ، أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ» :**إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوِ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**) .«رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ.(

ثَانِيًا :نُشِيرُ أَيْضًا إِلَى بَعْضِ **الْبِدَعِ الْمُسْتَحْدَثَةِ** فِي هَذَا الْمَوْطِنِ، كَوَضْعِ الْمُصْحَفِ عَلَى بَطْنِ الْمَيِّتِ، أَوْ قِرَاءَةِ سُورَةِ (يس)، أَوْ إِشْعَالِ الشُّمُوعِ، أَوْ قِرَاءَةِ بَعْضِ الْأَوْرَادِ وَالْأَدْعِيَةِ الْمُبْتَدَعَةِ الْمُخَالِفَةِ لِلسُّنَّةِ .فَالْمَطْلُوبُ الْتِزَامُ السُّنَّةِ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ؛ إِرْضَاءً لِلرَّبِّ تَعَالَى، وَسَلَامَةً لِلْعَبْدِ مِنَ الْإِثْمِ، وَتَحْصِيلًا لِلْأَجْرِ.

وَلَكِنْ، يُشَارُ إِلَى أَنَّ الرِّحْلَةَ قَدْ أَوْشَكَتْ عَلَى الِانْتِهَاءِ .أَرْجُو أَنَّكُمْ قَدِ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَذِهِ الرِّحْلَةِ وَانْتَفَعْتُمْ وَازْدَدْتُمْ .فَهَيَّا بِنَا نَرْجِعُ إِلَى دِيَارِنَا وَأَهْلِينَا وَنَحْنُ نَقُولُ : **"آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ."**

أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُعَلِّمَنَا مِنَ الْخَيْرِ مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَقِيَنَا مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ.